مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد: 03 السنة: 2021 الصفحة: 437–475 تاريخ النشر: 20–12–2021

الجهود التربوية لـ "عبد الحليم بن سماية (1866-1933م)" بين المدرسة والمسجد - دراسة وصفيّة-

The educational efforts of Abd el-Halim ben Semayah (1866-1933) between the school and the mosque - a descriptive study-

د. خالد لصحب
lashabkhaled25@gmail.com
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية- قسنطينة

تاريخ الإرسال: 2020/12/02 تاريخ القبول: 2021/10/14

الملخّـــص:

تمّ الكشف في هذه الدّراسة عن علم من أعلام الجزائر خلال الثلث الأوّل من القرن العشرين، إنّه المعلّم "عبد الحليم بن سماية" الذي ظلّت جهوده التعليميّة مغمورة من حيث وصفُها واستقصاؤها، والتي ماكان يبذلها إلا لصالح أبناء وطنه في رغبة منه لتثقيفهم وتعليمهم مما سيفتح لهم آفاقا رحبة، وحاسمة في الوقت نفسه للمشاركة في صناعة الواقع الاجتماعي والثقافي وتعديله لصالح بلادهم.

لقد حزم "ابن سماية" أمره لما اختار لنفسه دربا مَهْيَعا سطّر في إثره مشروعا متكاملا مُتّزنا دعا فيه إلى تربية تجديدية سايرت متطلبات العصر ثقافة وتعليما، كما أكسب تلامذته أيضا استعدادات نفسية ومهارات عقلية قلّ نظيرها. ولتجسيد ذلك المشروع الواعد تقلّب بين المدرسة والمسجد معتمدا على خطّتين تربويتين اشتملتا على مقررات دراسية جديدة حوت كتبا ومخطوطات ورسائل علميّة، نهج في تعليمها منهجية

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد: 03 السنة: 2021 الصفحة: 437–475 تاريخ النشر: 20–12–2021

عصريّة ضارعت المنهجيات التربوية الحديثة كما سايرت المفهوم المعاصر للبيداغوجيا والتربية التجديديّة.

الكلمات المفتاحية: عبد الحليم بن سماية، التدريس، المدرسة، المسجد، منهجيّة التدريس.

ABSTRACT:

In this study, we revealed an unknown Algerian character during the first third of the twentieth century, He is the teacher "Abd el Halim Ben Semayah" Who made his efforts divided between the school and the mosque, relying on two educational plans that included new curricula that included books, manuscripts and scientific theses, teaching a modern methodology. It approximated the modern educational methodologies as well as the contemporary concept of pedagogy and regenerative education.

keywords: Abd el- Halim ben Semayah, teaching, school, mosque, Teaching methodology.

لا يراودنا شكٌّ في أنّ العملية التعليمية قمينة بتطوير المجتمعات وبناء حضارتها، وحتى فلسفتها الخاصّة في الحياة، ولهذا لا نستغرب أبدا مداهمة المدرسة الجزائرية من طرف المعمّر الفرنسي، ومحاولته لتقويض أركانها، فالاستعمار- أوّلا وآخرا- لا يريد تطوير الجزائري، كما لا يرضيه أيضا أن يبني هذا الأخير حضارة تمكّنه من التفكير في آفاق الحريّة والتحرّر، ومعاني العلم والتعليم، ولطمس هذه المعاني وتلك المفاهيم سعت الإدارة الفرنسية لفرض مدرستها ورؤيتها التعليمية الهادفة في طياتها إلى محاربة اللغة العربية والدين الإسلامي، وإن كان ظاهرها تثقيف الجزائريين وإلحاقهم بركب الحضارة المزعومة .

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد: 03 السنة: 2021 الصفحة: 437–475 تاريخ النشر: 20–12–2021

إلا أنّ الجزائر– على امتداد الاحتلال– لم تخلُ من نُخبٍ مثقّفة، وبالتّحديد في الثلث الأول من القرن العشرين، وفي مدينة الجزائر على وجه الخصوص؛ حيث برزَت شخصيّة "عبد الحليم بن سماية" الفذّة، والتّي بزَّتْ نظراءها– في تلك الحقبة– علما وثقافة وفكرا، حيث انبرى لكشف أضغان الإدارة الفرنسيّة وإبطال مخططاتها الرامية لتجهيل الجزائريين وتهميشهم، وهنا بالذات قرّر الانتساب إلى المدرسة الشرعية الفرنسية حتّى يضربها من الداخل فتتهزّع أركانها لما يتخرّج منها رجال يلتهبون غيرة على دينهم ولغتهم ووطنهم.

وهنا بالذات نقف عند تساؤلات مشروعة تشكّل المحاور الكبرى لهذه الدراسة وهي: من هو "عبد الحليم بن سماية" بوصفه مدرسا وواحدا من النخب الجزائرية التي نشطت في مطلع القرن العشرين؟ وما هي الجهود التعليمية التي سطّرها، بين المدرسة والمسجد، خدمة لأبناء وطنه، ورغبة منه في تحرير عقولهم من قيود الجهل والتخلّف؟ وهل كانت له فلسفة خاصّة ومنهجية معيّنة أثناء تعاطيه مع الفعل البيداغوجي والتربوي؟ وإذا كان الجواب بالإيجاب فما هي إذا خصائص هذه المنهجية وماهي مرتكزاتها؟

أوّلا: حياته وجهوده:

يعود نسب "عبد الحليم" إلى أسرة تركيّة عريقة بالجزائر العاصمة، يرجع أصلها إلى أتراك بلدة " **أزامير**"[1]، والده هو السيّد علي بن عبد الرحمن بن حسن خوجة[1]، كان

[1]– يذكر الشيخ (عبد الرحمن الجيلالي) أنه توجد « بالعاصمة أسرتان مشتركتان في التّلقب بهذا اللقب وهذه النسبة، إذ كل منهما تدّعي ((ابن سماية)) وكلتاهما من أصل تركي، وهما في نفس الأمر والواقع متباعدتان كل البعد عن بعضهما بعضا في النسب، فأسرة الشيخ عبد الحليم ترجع في نسبها إلى حسن خوجة قاطع السكّة بدار الإمارة الجزائريّة، على عهد الأتراك، وهي أكثر شهرة بهذا

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد: 03 السنة: 2021 الصفحة: 437–475 تاريخ النشر: 20–12–2021

متشبعا بثقافة عربية إسلامية مُحلاّة بلبوس العصرنة؛ فقد تلمذ للعلامة الشّيخ مصطفى الحراري الجزائري ليكون أوّل من يدرّس بعد تخرّجه بجامع سفير، وبعدها إلى الجامع الجديد بالعاصمة، ووالدته السيّدة كريمة المحتد من آل الشيخ "مصطفى بن الكبابطي" آخر مفاتي المالكية بالجزائر على عهد الأتراك[2]، وتدعى "خديجة وخداوج"[1]، وهناك من

اللقب–ابن سماية– من الثانية التي ينتمي إليها الشيخ يوسف بن سماية، فإن لقب هذه الحقيقي هو((بكير خوجة)) وهو اللقب الرسمي الذي يجري عليه العمل الإداري في جميع أوراق التعريف الرسميّة لكامل أفراد هذه العائلة، وإن كانت هي كذلك تعرف بابن سماية وليس عليه العمل، بخلاف أسرة الشيخ عبد الحليم فإنّها لا تعرف إلا به». يُنظر: عبد الرحمن الجيلالي: جوانب من كفاح الشيخ عبد الحليم بن سماية (السياسي والثقافي)، ضمن مجلة الأصالة: مجلّة ثقافية تصدرها وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، السنة الثالثة، العدد 13، صفر/ ربيع الأول 1393هـــ/مارس/أفريل 1973م، ص 202. أما مدينة (**إزمير**) أو التي كانت تعرف قديما باسم (**سميرنا**) هي ثالث أكبر مدينة في دولة تركيا، والتي اعتبرت مركزا تجاريا هاما لفترة طويلة من الزمن بسبب امتدادها على جبال منطقة(بحر إيجه) من غرب الأناضول على شرقها ...ويعود أصل المدينة إلى الألفية الثالة قبل الميلاد، وقد تمكنت من المحافظة على مكانتها خلال فترة الحوثيين واليونانيين، والرومانيين، والبيزنطيين. ينظر: خولة الشوملي: معلومات عن مدينة إزمير التركية – آخر تحديث07: 41، 28 ديسمبر 2017م https: //mawdoo3.com

[1]– «علي بن سماية من المدرسين في مدينة الجزائر مدة طويلة، وكان أيضا من محرري جريدة المبشّر (من الرسائل التي ضاعت منا سنة 1988 رسالة حررها بأسلوب جيّد وإداري علي بن سماية يشكو فيها حاله إلى السلطات الفرنسية ويذكر فيها عدد السنوات التي قضاها بالمبشّر. وقد ذكره إميل ماسكري في كتابه (رؤى أفريقية) وتعلم العربية على يده ونوّه به». ينظر: تاريخ الجزائر الثقافي: أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، ط01، 1998، 93/3 (الهامش).

[2]– جوانب من كفاح الشيخ عبد الحليم بن سماية (السياسي والثقافي): عبد الرحمن الجيلالي، ص202.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد: 03 السنة: 2021 الصفحة: 437–475 تاريخ النشر: 20–12–2021

يقول بأن "مصطفى بن الكبابطي" ليس جدّ "عبد الحليم" بل هو جدّ والده علي بن سماية من أمّه[2].

شبّ الغلام في كنف والدٍ مُثقّف محبٍّ للعلم والعلماء، فربّاه على أساس متين من الدين والأخلاق، «وحينما آنس منه الاقتدار على مزاولة تعلّم القراءة والكتابة أخذه إلى كتّاب بحي القصبة يُعرف بجامع بالرقيسة– أو ابن رقيصة– وكان شيخ الكتّاب وإمام الجامع إذ ذاك هو الشّيخ المبارك الميمون حسن بوشاشيّة، وعليه تخرّج مترجمنا في حفظ القرآن الكريم كما تخرّج على يده أغلب علماء الجزائر وحملة القرآن بها يومئذ، وفي نفس الوقت كان والده يعمل على تلقينه مبادئ العلوم وتوجيهه فنشأ ابنه عبد الحليم على حبّ الفضائل والتناغي بالعلم والعمل»[3].

كما اصطحبه والده إلى الجامع محلّ درسه ليُفيد وطلبة العلم من دروس العربيّة والفقه والتوحيد[4]، كان ذلك بطرائق تعليمية حديثة لم تشهدها الجزائر من قبل، كان والده قد أفادها من مصر إثر رحلة صحبه فيها جدّه "الكبابطي"، كما تعلّم عبد الحليم من والده الاعتماد على النّفس في طلب العلم وتحصيله وأن يبادر بكشف أستار العلوم

[1]– تاريخ الجزائر العام: عبد الرحمن الجيلالي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982، 403/4–404. نقلا عن: المنهج الإصلاحي في فكر الشيخ عبد الحليم بن سماية: مراد بن حمودة، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية، مج03، ع06–ديسمبر، جامعة سيدي بلعباس–الجزائر، 2017، ص101.

[2]– نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المجيدة: محمد علي دبوز، الطباعة الشعبية للجيش، 2007، 107/1.نقلا عن: المنهج الإصلاحي في فكر الشيخ عبد الحليم بن سماية: مراد بن حمودة، ص 102.

[3]– عبد الرحمن الجيلالي: جوانب من كفاح الشيخ عبد الحليم بن سماية (السياسي والثقافي)، ص202–203.

[4]– ينظر: المصدر نفسه، ص 203.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد: 03 السنة: 2021 الصفحة: 437–475 تاريخ النشر: 20–12–2021

ودروبها، وهذا ما حققّ له، فيما بعد، نضجا مبكّرا جادت فيه قريحته بكلام فصيحا وخطاب بليغ فخم، واكتسبت شخصيّته قوّة وسمتا، كما كان غيورا على الدين والوطن فلم يكن يؤمن بمساحة للحياد فيهما[1].

ولما كان شغوفا بطلب العلم لم يكتف بما أخذه عن أبيه فالتفّ حول مشايخ عصره وعلماء زمانه؛ نحو الشيخ علي بن الحاج موسى والشيخ محمد القزادري والشيخ علي ابن الحفاف والشيخ "ابن ظاهر الوتري المدني" والشيخ "قدور باصوم" والشيخ "طاهر قيطوس"، كما كان يحضُر دروس الشيخ "محمد سعيد ابن زكري" وعلماء آخرون أفاد منهم فنون اللغة وعلوم الشريعة[2]. و لم تكن تلك العلوم لتُشبع نهمه العلمي فراح يسعى مُستزيدا، فطلب علم الحساب والفرائض عن صهره الشيخ "علي بن حمّودة"، وعلم الربع المجيب في الفلك والتوقيت ومواقف العضد عن الشيخ "أبي القاسم الحفناوي"، وعلم الاسطرلاب عن الأستاذ "عارف بك"، كما أفاد أيضا من الشيخ "محمد المكي بن عزوز"[3].

كان لـــ"الحليم بن سماية" رحلة علميّة طلب فيها علم الحكمة والفلسفة من طريق الفلاسفة القدماء من "مشّائين وإشراقيين"، فوجد ضالته عند الشيخ "محمّد بن عيسى الجزائريّ" الذي كان قد هاجر إلى تونس، فقصده عبد الحليم فوجد منه ترحيبا

[1]– ينظر: محمد علي دبوز: نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المجيدة، 1 /107–108. نقلا عن: مراد بن حمودة: المنهج الإصلاحي في فكر الشيخ عبد الحليم بن سماية، المجلّة الجزائريّة للبحوث والدراسات التاريخيّة، مجلد03، عدد06، ديسمبر 2017، ص102.

[2]– ينظر: عبد الرحمن الجيلالي: جوانب من كفاح الشيخ عبد الحليم بن سماية (السياسي والثقافي)، ص202–203.

[3]– المصدر نفسه، ص203–204.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد: 03 السنة: 2021 الصفحة: 437–475 تاريخ النشر: 20–12–2021

منقطع النظير– فقد كان المضِيف صديقا حميما لوالده أيام طلب العلم– فلم يبرح بن سماية مترله يستزيد من معارفه وعلومه[1]، وأقام عنده ثمانية أيام أخذ فيها المقولات العشر عن طريق المدارسة[2].

وإذا كان من فضائل الارتحال « أنّ العَالِم يطوفُ ببلدان كثيرة، فيشاهد أحوال الشعوب وتقاليدها وعاداتها، واختلاف طبائعها، فيأخذ عن شيوخها وأعيانها، ويتلقى العلم عليهم، مما يؤدّي إلى كثرة الاطلاع ووفرة الثقافة »[3]، فإنّ "ابن سماية" لم يحفل بكثير من هذه الفضائل حيث «لم يغادر المكان متفسّحا أو متجوّلا في رحاب المدينة حتّى يتعرّف إلى معالمها الشامخة وآثارها الرفيعة وأسواقها الغنيّة الثريّة أو يسمح على الأقل بنظرة إلى جمالها الفتّان، كل ذلك لم يحرّك منه ساكنا، حتّى انتهى من اتقان فنّه المطلوب والمرغوب فيه فعاد إلى وطنه دون أن يعرف عن تونس شيئا ! ولما حلّ بالجزائر سأله أصدقاؤه ورفاقه أن يصف لهم تونس؟ فقال لهم سلوا عنها من رآها !!...» ؟[4]

لقد حصّل "ابن سماية" العديد من الإجازات في سند العلم، والتي طالما شغلت باله ومَلَكَت عليه شِغَافَ قلبه؛ فكان له أن حصّل أوّل إجازة من طريق أبيه في رواية صحيح

[1]– نفسه، ص203–204.

[2]– ينظر: محمد الخضر حسين وآخرون: خمس رحلات إلى الجزائر(1904–1932)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر(د.ب)، (د.ط)، (د.ت)، ص37.

[3]– مصطفى محمّد حميداتو: كتاب الأمّة (عبد الحميد بن باديس وجهوده التربويّة)، سلسلة دوريّة تصدر كل شهرين عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلاميّة– قطر، العدد 57، المحرّم، ط01، 1418هـــ/1997م،، ص63.

[4]– عبد الرحمن الجيلالي: جوانب من كفاح الشيخ عبد الحليم بن سماية (السياسي والثقافي)، ص203–204.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد: 03 السنة: 2021 الصفحة: 437–475 تاريخ النشر: 20–12–2021

البخاري[1]، كما أُجيز في كتاب (المواقف) للعضد، وأجازه الشيخ "محمد بلقاسم" أثناء رحلته إلى زاوية الهامل، بالإضافة إلى إجازة أخرى من الشيخ "شعيب بن علي" قاضي تلمسان آنذاك، وربّما يكون في رصيده العديد من الإجازات إما مراسلة مع العلماء أو بالاجتماع معهم حينما يمّم نحو المشرق[2]، ولا يخفى على ذي بصيرة ما للرواية من فضل وشرف عند الرجال؛ «نعم؛ لم يكن العلم يوما إلا بها وهكذا، ولم تتزيّن مجالس العلم يوما إلا بها وهكذا؛ حتى إذا دوّنت الأحاديث وحفظت، وصنّفت الكتب وحرّرت قامت عندها الإجازات وغيرها لتأخذ طرائق شتّى في حفظ هذه السُّلالة الأثريّة، والطريقة السّلفيّة في وصل أنساب هذه الكتب، والتّشرّف بالانتساب إلى رجالها»[3].

كما يذكر المؤرّخ (أبو القاسم سعد الله) أنه عرف من مصادر مختلفة بأنّ" ابن سماية" كان قد زار بلاد الشام وربّما أدى فريضة الحجّ أيضا[4]، ويظهر أنّ زيارة الشيخ للشام مؤكّدة، فهي التي جعلته يُتلمذ للشيخ "عبد القادر بن بدران الدمشقي" المدرّس بالجامع الأموي والمدرسة السُميساطية، ومدرسة عبد الله باشا العظم، فقرأ عليه "ابن سماية" كتاب (المنهل الصافي)[5]، واحتمال كبير أن يكون الشيخ "ابن بدران الدمشقي" قد أجازه فيما قرأه عليه.

---

[1]– عبد الرحمن الجيلالي: جوانب من كفاح الشيخ عبد الحليم بن سماية (السياسي والثقافي)، ص206.

[2]– ينظر: أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، 94/3.

[3]– ذياب بن سعد آل حمدان الغامدي: الوجازة في الأثبات والإجازة، دار قرطبة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت–لبنان، ط01، 1428هـــ، ص27.

[4]– يُنظر: أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، 93/3.

[5]– ينظر: محمد بن ناصر العجمي: عبد القادر بن بدران الدمشقي (حياته وآثاره) ، دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت–لبنان، (د.ط)، 1417هـــ/1996م، ص62.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد: 03 السنة: 2021 الصفحة: 437–475 تاريخ النشر: 20–12–2021

وعلى الرغم من رسوخ قدم الشّيخ في العلم إلا أنّ إنتاجه العلمي كان ضئيلا؛ وهذا لما اقتطعه منه التدريس من وقت جمّ فاتجه لتكوين الرجال بدل المؤلفات[1]، وهذا ما أكّدته شهادة أحد تلامذته حين يقول: « ويظهر من تكاثر أعمال الشيخ الثقافية الثقيلة في ميدان التدريس والإقراء شغلته عن العمل في مجال التأليف والتصنيف فلم يؤثر عنه كبير أمر من حيث الإنتاج ووضع الكتب والأسفار إذ ليس يعلم من مؤلفاته المطبوعة سوى رسالة وضعها في أحكام الربا رد بها على من يقول بإباحة اتخاذ القليل منه وعنوانها: (اهتزاز الأطواد والرُبى على مسألة تحليل الربا »[2]، واشتهر الشيخ عند بعض تلامذته بتأليف له في العقائد كان يردّ فيه على حُجَج الملحِدِين، كما نُشرت له رسالة صغيرة الحجم موسومة بـــ" الكتر المدفون والسر المكنون" ذات منحى صوفي[3]، وكتاب(فلسفة الإسلام) ينسب إليه أيضا[4]. كما شارك الشيخ في المؤتمر الدولي الرابع عشر للمستشرقين في عام 1905م بالجزائر، وقدّم بحثا بعنوان: "الحضارة الإسلامية والفلسفة"[5]، كما صدر له العديد من المقالات في جرائد داخل الوطن، نذكر منها: جريدة الاقدام الجزائرية بإدارة الأمير خالد[6]، وجريدتي "المغرب" و"كوكب إفريقيا"[1]، أما خارج الوطن فكان يمضي مقالاته في جريدتي المشير والوزير التونسيتين[2].

[1]– ينظر: أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، 94/3.

[2]– عبد الرحمن الجيلالي: جوانب من كفاح الشيخ عبد الحليم بن سماية (السياسي والثقافي)، ص209–2010.

[3]– المصدر نفسه، ص210.

[4]– مصطفى محمّد حميداتو: كتاب الأمّة (عبد الحميد بن باديس وجهوده التربويّة)، ص56.

[5]– ينظر: عبد الرحمن الجيلالي: جوانب من كفاح الشيخ عبد الحليم بن سماية (السياسي والثقافي)، ص 210.

[6]– ينظر: المصدر نفسه، ص 210.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد: 03 السنة: 2021 الصفحة: 437–475 تاريخ النشر: 20–12–2021

ولما قضى "عبد الحليم" زهرة شبابه في تعليم الأجيال وصناعة الرّجال، تخرّج على يده أُدباء وعلماء كُثُر، منهم المدرّس والقاضي والإمام، والمفتي، وكانت تلك الدفعات المتوّجة من أقطار شتى داخل الوطن وخارجه[3]، وكان جلّهم مثقّفين بل كانت ثقافتهم مزدوجة [4].

ومن بين أبرز تلامذته الجزائريين الشيخ "عبد الرحمن الجيلالي"، فقد لازم درس الشيخ في المسجد زمنا فوجده «جزلا بليغا يتكلّم بفصاحة وعبارة منقّحة بليغة وألفاظ فخمة»[5]، وقد أجازه "ابن سماية" عن جدارة فنزل ذلك منه منزلا حسنا فقال: « وأني لمعتزّ وفخور بما أتحفني بل وشرفني به من تفضّله علي بكتابة إجازة بخطّه أجازني فيها بما أجازه به والده وجمع من مشائخه في رواية صحيح الإمام البخاري متّصلة السّند المسلسل بشيوخ العلم والحديث على الطريقة السلفية »[6].

كما لازمه الشيخ العالم "محمّد بن أبي شنب" في المدرسة الثعالبية وأفاد كثيرا من دروسه[7]، فأخذ عنه البلاغة والمنطق والتوحيد[1]، كما تلمذ له أيضا الدكتور "محمّد بن

[1]– ينظر: مولود عويمر: ترجمة الشيخ عبد الحليم بن سماية الجزائري، المكتبة الجزائرية الشاملة، 23 سبتمبر 2017، www.shamela-dz.net

[2]– ينظر: عبد الرحمن الجيلالي: جوانب من كفاح الشيخ عبد الحليم بن سماية (السياسي والثقافي)، ص210.

[3]– ينظر: المصدر نفسه، ص206.

[4]– ينظر: مصطفى محمّد حميداتو: كتاب الأمّة (عبد الحميد بن باديس وجهوده التربويّة)، ص56.

[5]– عبد الرحمن الجيلالي: جوانب من كفاح الشيخ عبد الحليم بن سماية (السياسي والثقافي)، ص206.

[6]– المصدر نفسه، ص206

[7]– ينظر: مراد بن حمودة: المنهج الإصلاحي في فكر الشيخ عبد الحليم بن سماية، ص109.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 03 السنة: 2021 الصفحة: 437–475 تاريخ النشر: 20–12–2021

العربي"[2]، أمّا من المغرب الشقيق فقد تخرّج على يده من تقلّد وظائف سامية[3] فكان من أبرزهم المترجم بالإدارة الفرنسية بالرباط، العالم المحقق "أحمد بن محمد التجاني"[4]، الذي قال في حقّه لما بلغه نبأ وفاته: «إنه عالم الأتقياء وتقي العلماء.. انغلق ذلك الفم المتعطّر بذكر الله وكان عينا فيّاضة بالمعارف يشرب منها عباد الله يفجّرونها تفجيرا. سكت ذلك اللسان الفتان وكان حجّة أهل الإيمان في الديار الجزائريّة وعندليب رياض الآداب بتلك الربوع، [....] عرفنا ذلك منه نحن معشر تلامذته بما كنا نشاهده من أحواله في أثناء الدروس كلما عنّ لنا مثل عربي من نحو: النار ولا العار، المنايا ولا الدنايا، أو عنّت لنا آية من مثل قوله تعالى: رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنه من ينتظر وما بدّلوا تبديلا، نرى مثل تيار كهربائي ينبعث من أعماق الأستاذ ويلوح

[1]– ينظر: عبد الكريم بو الصفصاف: الفكر العربي الحديث والمعاصر (محمد عبده وعبد الحميد بن باديس نموذجا)، دار الهدى للطباعة والنشر، الجزائر، 2005، ص 145. نقلا عن: كمال خليل: المدارس الشرعية الثلاث في الجزائر: التأسيس والتطور (1850–1951)/رسالة ماجيستير، جامعة منتوري قسنطينة، قسم التاريخ، السنة الجامعية 2007–2008، ص131.

[2]– وهو أوّل جزائري تحصّل على شهادة الدكتوراه في الطبّ. ينظر: مولود عويمر: ترجمة الشيخ عبد الحليم بن سماية الجزائري، المكتبة الجزائرية الشاملة، 23 سبتمبر 2017، www.shamela-dz.net

[3]– ينظر: عبد الرحمن الجيلالي: جوانب من كفاح الشيخ عبد الحليم بن سماية (السياسي والثقافي)، ص206.

[4]– ينظر: أحمد بن محمد التجاني، دمعة على فقيد الجزائر المسلمة، مجلة التلميذ، ع3–4، السنة الثانية، جانفي– فيفري 1933ص– ص 13–17. نقلا عن: مراد بن حمودة: المنهج الإصلاحي في فكر الشيخ عبد الحليم بن سماية، ص 109.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد: 03 السنة: 2021 الصفحة: 437–475 تاريخ النشر: 20–12–2021

كالبرق الخاطف اثر عامله القوي على صفحات محيّاه...»[1] وكانت هذه الكلمة عند "عبد الرحمن الجيلالي" أصدق كلمة قيلت في حقّ شيخه ومجيزه[2].كما قال عنه الشيخ " عبد الحميد بن باديس" معزّيا: «إنّ الأستاذ الشيخ عبد الحليم بن سماية عالم عامل غيور على دينه ووطنه مخلص لهما...فرحمه الله وجازاه عن العلم وخدمته واحترامه والاعتزاز به خيرا...، وكما شهد له بهذا العدو قبل الصديق »[3]. وكانت وفاته ليلة الخميس 05 رمضان /1933/01/02م، حيث شيّع في اليوم الموالي في حشود غفيرة، ودفن بتربة الشيخ عبد الرحمن الثعالبي[4].

ثانيا: خطّة التدريس في المدرسة والمسجد:

تكوّن "ابن سماية" في محيط علميّ متنوّع المصادر وصارم إلى حدّ بعيد؛ فإلى جانب ملازمته لأبيه ومشايخ عصره، في عهد الطفولة، تكوّنت له أيضا تلك «الدافعية الداخلية للطفل التي تقوده إلى المبادرة للقيام بأنشطة يوجّهها بنفسه»[5]، فتجسّد ذلك فيما بذله من جهد مضنٍ لحفظ القرآن الكريم والمتون العلمية في مختلف العلوم، فلما اشتدّ عودُه عَزَم برحلاته العلمية داخل وخارج الوطن لتحصيل الإجازة وسند العلم، وبهذا صارَ «من أوسع علماء عصره علما وثقافة "فقد تخرّج على يده جيل من المثقّفين

[1]– عبد الرحمن الجيلالي: جوانب من كفاح الشيخ عبد الحليم بن سماية (السياسي والثقافي)، ص201– 202.

[2]– ينظر: عبد الرحمن الجيلالي: جوانب من كفاح الشيخ عبد الحليم بن سماية (السياسي والثقافي)، ص 201.

[3]– المصدر نفسه، ص 201.

[4]– نفسه، ص 212.

[5]– غانم بيبي ورنا إسماعي: ل الدعم النفسي الاجتماعي والتعلم في ظروف الأزمات، مكتب اليونسكو الإقليمي للتربية في الدول العربية، بيروت 2018، ص18.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد: 03 السنة: 2021 الصفحة: 437–475 تاريخ النشر: 20–12–2021

مزدوجي الثقافة"»[1]، كما أضحى، في أعين المحققين، من الروّاد الذين بعثوا النهضة الجزائرية، فامتدّ تأثيرهم ليشمل خلفا نهضويا مصلحا من أمثال عبد الحميد بن باديس والبشير الإبراهيمي ومبارك الميلي وغيرهم في عوالم الحياة الفكرية والحركة الإصلاحية[2].

تشير بعض الدّراسات أنّ "بن سماية" تخرّج من المدرسة التي كان والدُه مدرّسا بها (مدرسة الجزائر الشرعية–الفرنسية)، كان ذلك بعد إصلاحات 1877، فتخرّج وهو مقتدر متمكّن من علوم اللغة العربية والعلوم الإسلاميّة بفروعها، بالإضافة إلى تمكّنه مكنَة حسنة من اللسان الفرنسيّ، فهو عندئذ يُحسَب على الجيل الذي سبقت فيه قرارات (شانزي **Chanzy**) بفرنسة المدرسة الجزائرية [3].

01–: خطة التدريس في المدرسة:

كانت الإدارة الفرنسيّة تَحُثّ في سعيها لإيجاد خيطٍ يربطها بالأهالي، وقد وجدت ضالّتها في تأسيس المدارس، كان ذلك في 30 سبتمبر 1850، فتوسّلت بنخبة من المدرّسين لتقديم برامج تربوية تخدم الإدارة والأهالي على حدّ سواء، فكان لمن انتخبتهم كفاءة عالية في تجسيد الدور المنوط بهم؛ فنقلوا المعارف والعلوم لأبناء جلدتهم كما احتكّوا بهم وخالطوهم، وبهذا كان تأثيرهم في المجتمع الجزائريّ مباشرا وبليغا، منهم "عبد الحليم بن سماية" و"الشاذلي القسنطيني" و"عبد القادر المجاوي"، و"المولود بن الموهوب"، فحُقّ لهم، عن جدارة واستحقاق، أن يكونوا روّاد النهضة الجزائرية كما سبق لهم أيضا فعل الإصلاح قبل الشيخ "عبد الحميد بن باديس"[4]. وفي الحقيقة كان

[1]– مصطفى محمّد حميداتو: كتاب الأمّة (عبد الحميد بن باديس وجهوده التربويّة)، ص56.

[2]– ينظر: المرجع نفسه، ص56.

[3]– ينظر: أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، 93/3.

[4]– ينظر: كمال خليل: المدارس الشرعية الثلاث في الجزائر: التأسيس والتطوّر، ص125.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد: 03 السنة: 2021 الصفحة: 437–475 تاريخ النشر: 20–12–2021

هناك هدف خاصّ سعت الإدارة الفرنسية لتحقيقه من وراء تعيين تلك النخبة من العلماء، وهو تقليدهم «مناصب القضاء والإفتاء والعدالة؛ فأسّست المدارس الرسمية الثلاث بالجزائر وقسنطينة وتلمسان»[1]، كان هذا قبل تشييد المدرسة الثعالبية التي انتسب إليها "بن سماية" سنة 1905، وكانت لغة التدريس الوحيدة هي اللغة العربية، فطفقت الإدارة الفرنسية تزاحمها باللسان الفرنسيّ فأصبحت المدرسة مزدوجة اللغة بحلول عام 1906.[2]

فيما يتعلّق بالمدرّس "بن سماية"، كانت الإدارة الفرنسيّة قد سعت لاحتوائه بضمّه للمدرسة الحكوميّة، كان هذا بعد أن أثبت كفاءة علمية في ميادين شتّى، فأصبح الناس يتهافتون على دروسه ويزاحمون في حلَقاته، وهذا عهد فرنسا وسياستها مع جُلّ العلماء المسلمين ممن سجّلوا جدارةً ومُكنةً في المجال العلمي أو من ألئك الوطنيين الشّرفاء[3]، ولما كان لـــ "ابن سماية" رؤية واعدة لتعليم أبناء وطنه وتثقيفهم، لم يكن ليرفض فرصة ثمينة كالتي عُرضت عليه، خاصّة وأنّ المدرسة تضمّ أعدادا مشجّعة من المسلمين، وتنتهج نظاما تعليميا عصريا، عندها وازن الشيخ المسألة وسدّد وقارب فاختار المدرسة لأن نفعه فيها سيجاوز نفعه خارجها، وأيضا لأنّ الطلبة هم النخبة ويُعوّل عليهم في المستقبل، ومن جهة أخرى تأكّد، بما قطع فيه الشكّ باليقين، أنّ السلطات الاستعماريّة سوف لن تدعه وشأنه إن هو رفض عرضها، فأكيد أنها ستلاحقه وتُضيّق عليه سُبُلَ تعليم الجيل

[1]– أحمد توفيق المدني: كتاب الجزائر، المطبعة العربية، (د.ب)، (د.ط)، (د.ت)، ص94.

[2]– ينظر: محمد علي دبوز: نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المجيدة، ص108–109.نقلا عن: مراد بن حمودة: المنهج الإصلاحي في فكر الشيخ عبد الحليم بن سماية، ص 104.

[3]– لقد ألزمت السلطات الفرنسية هاته الفئة بالانخراط داخل مؤسساتها التربويّة حتّى تكون تحت رقابتها وسلطتها.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد: 03 السنة: 2021 الصفحة: 437–475 تاريخ النشر: 20–12–2021

الواعد فيبقى يعمه في غياهب الجهل[1]، وفي الحقيقة هذا ما كان يؤرّقه ويطرد عنه راحة البال، فأعدّ واستعدّ لتكوين الجيل وصناعة الرجال داخل المؤسسات الفرنسيّة ولكن بقناعات وقيم إسلاميّة بإمكانها التغلّب على مخططات المستعمر الرامية لتطويق إرادة الجزائري وغمطه حقّه في الحريّة والتحرّر.

لم يلبث الشيخ حتّى تقلّد منصبه للتدريس بمدرسة الجزائر التي أصبحت تسمّى بالثعالبية، فتولى الخطة يوم 04 ديسمبر[2]1896، كان ذلك بعد إعادة هيكلة المدارس وتنظيمها ضمن إصلاحات 1895، وكان نظام المدرسة عصريّا يسير وفق خطّة مضبوطة، كما هو الحال اليوم في المدارس النظامية، كان لجريدة المبشّر[3] أن نشرتها فاشتملت على أسماء المدرّسين والدروس التي كان يلقيها كل مدرّس للطبقة التي يدرّسها؛ ونعني بالطبقة هنا طلبة كل سنة دراسيّة، كما جاء في الجريدة أن المدرّسين كانوا يتداولون على الطبقات (السنوات الدراسية)؛ فمثلا يدرّس مادة النحو للطبقة

[1]– ينظر: محمد علي دبوز: نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المجيدة، ص108–109. نقلا عن: مراد بن حمودة: المنهج الإصلاحي في فكر الشيخ عبد الحليم بن سماية، ص104.

[2]– ينظر: أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، 95/3. وينظر: عبد الرحمن الجيلالي: جوانب من كفاح الشيخ عبد الحليم بن سماية (السياسي والثقافي)، 204.

[3]– «تعد هذه الجريدة التي صدرت بالجزائر العاصمة في 15 سبتمبر (1847) أول جريدة عربية في المغرب العربي وثالث جريدة في العالم العربي كله، غير أن مصدر هذه الجريدة كان استعماريا، فقد أمر بإنشائها الملك (لوي فيليب) ملك فرنسا الذي غزا الجزائر بجيوشه، ويبدوا أن هدفه الرئيسي من إنشاء هذه الجريدة العربية هو حرصه على القضاء على العناصر الوطنية الثائرة، التي ما انفكّت تحاربه هنا وهناك بقيادة الأمير عبد القادر فاختار هذه الوسيلة لتصله بالأهالي الجزائريين الذين كانوا لا يفهمون آنذاك غير اللغة العربية» .ينظر: محمد بن صالح ناصر: الصحف العربية الجزائرية من 1847 إلى 1954، ألفا ديزاين– قصر المعارض– الجزائر، ط01، 1980، ص21.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد: 03 السنة: 2021 الصفحة: 437–475 تاريخ النشر: 20–12–2021

الأولى المدرس (أ) ويدرسها للطبقة الثالثة المدرس (ب)، والمنهجية نفسها مطبّقة مع المواد الفرنسيّة[1]. أما فيما يخصّ الجدول الزمني فكانت العربية تحظى باثنتي عشرة ساعة بينما الفرنسية بثمانية فقط، وفيما يخصّ المواد فقد كان "ابن سماية" يدرّس الأدب العربي لطلبة القسم الأوّل والذي يضم أربع طبقات (سنوات)[2]. بينما في القسم العالي كان يدرّس المنطق والبيان والتفسير، كما نشرت الجريدة نفسها مادة الإنشاء الأدبي دون الإشارة إلى مدرّسها، وربما كان"بن سماية" هو مدرّسها [3] لتعلّقه بالأدب العربي ولمقدرته الفائقة على إنشاء النصوص وحبكها بأسلوب فني عصريّ، فقد شهد له بهذه الأدبية الشيخ "محمد الخضر حسين ت 1377هـــ" حين اطّلع على أسلوبه في التحرير[4].

1–1– المقررات الدراسية في المدرسة:

ساد في القديم مفهوم يقضي بأنّ «المناهج التعليمية هي محتوى المقرّر الدراسي Content of the Subject-Matter الذي يحتوي مجموعة المعارف والمهارات والاتجاهات والقيم المراد إكسابها للتلميذ»[5]، وبغضّ النظر عن مدى صحّة وسلامة هذا المفهوم فقد اكتسب شرعيّة واسعة– في وقته على الأقلّ– ويبدو أن هذا المفهوم كان سائدا أيضا في زمن المدرّس "ابن سماية" . ولما كان للمُدرّس حريّة اختيار المنهاج/ المقرّرات الدراسية، فقد اختار "بن سماية"، عن وعي وخبرة، مجموعة من المصادر

[1]– يشير المؤرخ(سعد الله) أن هذه المنهجيّة المعتمدة من طرف إدارة المدرسة يحتمل أن تكون قد حوّلت من جامع الزيتونة بتونس. ينظر: أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، 388/3.

[2]– المصدر نفسه، 389/3.

[3]– نفسه، 390/3.

[4]– ينظر: محمد الخضر حسين وآخرون: خمس رحلات إلى الجزائر، ص37

[5]– برو محمد ورحموني دليلة: المناهج التعليمية بين التطورات وتحديات المستقبل، ص155. http: //revue.ummto.dz/index.php/pla/article/download/1132/951

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد: 03 السنة: 2021 الصفحة: 437–475 تاريخ النشر: 20–12–2021

والدراسات النقديّة الأصيلة التي كانت بؤرة اهتمام المجتمع الإسلامي الأكاديمي آنذاك، وهذا السّلوك ليس بدعا من عمل الشيخ أو ضربا من التّيه العلميّ، بل لأنّ «المناهج التعليمية تتأثّر في أي مكان وزمان بالفلسفة السائدة في المجتمع»[1]، وبهذا التأثر الإيجابي تمكّن "ابن سماية" من مواكبة تلك التطوّرات التربوية على مستوى المناهج التعليميّة المطبّقة في الأزهر، والزيتونة، ومدارس الشّام، وهذا إيمانا منه بأنّ «تطوير تلك المناهج وفق المعايير والمقاييس التربوية العالمية يعدّ البداية الحقيقية لإعداد الجيل الحالي للتعامل مع معطيات العصر ومتغيّراته»[2].

إنّ انتساب"بن سماية" إلى فضائين تربويين؛ المدرسة والمسجد، جعله ينتبه إلى ضرورة المخالفة بينهما في محتوى المقررات الدّراسية المعتمدة، وخاصّة في القسم العالي من التدريس، بحكم أن هذه المرحلة متقدّمة وليست في متناول الجميع، ومن هنا «بدأ الشيخ أولى عمليات الإصلاح بإدخال كتب جديدة في عملية التدريس»[3]، وهذا ما نقله لنا تلميذه (عبد الرحمن الجيلالي) إذ يقول: «فكان فيها (المدرسة الرسمية) أوّل من أقرأ كتاب دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة للجرجاني، والاقتصاد في الاعتقاد للغزالي وتلخيص المفتاح لجلال الدين القزويني والبصائر النصيرية في المنطق لابن سهلان، والمفصّل في النحو للزمخشري وغيرها من الكتب المعتبرة عند أهل الخبرة والعلم، فكان بذلك رحمه الله أوّل من أدخل نظام إصلاح التعليم العالي بالجزائر، كما أنه كان أول من اهتمّ بتدريس رسالة التوحيد للإمام عبده وختمها في ظرف سبعة أشهر »[4].كما يذكر غيره

[1]– المرجع نفسه، ص154.

[2]– نفسه، ص12.

[3]– عبد الحق بن حمودة: المنهج الإصلاحي في فكر الشيخ عبد الحليم بن سماية، ص 105.

[4]– عبد الرحمن الجيلالي: جوانب من كفاح الشيخ عبد الحليم بن سماية (السياسي والثقافي)، ص204.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد: 03 السنة: 2021 الصفحة: 437–475 تاريخ النشر: 20–12–2021

مؤلفات أصيلة أخرى في الدين والعربية كان يدرّسها الشيخ لسنوات متفرقة في المدرسة منها: ألفية ابن مالك بشرح ابن عقيل أو شرح الأشموني، والعقد الفريد لابن عبد ربه، ونهج البلاغة، وديوان الحماسة لأبي تمام، والسلم في المنطق، والتهذيب[1].

ولما نلقي نظرة وصفيّة فاحصة متأنّية حول هذه المقررات الدراسيّة نجد أنّه كان يتقصّد اختيار بعض المصادر التي كان الإمام "محمّد عبده" يدرّسها في الأزهر، مثل كتاب التهذيب والبصائر النصيرية، فقد سجّل "ابن سماية" تعليقا قيّما حول المصدر الثاني منهما، والكلام نفسه ينسحب على أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني[2]. إلا أنّ ولوعه بأسرار البلاغة ودلائل الإعجاز لم يكن مرتبطا رأسا بشخصيّة الإمام "عبده" وبتدريسه لهما، إنما لقيمتهما العلميّة في حقل الدراسات الأدبية والنقديّة ولكونهما مناط صقل خِبرات التلاميذ وتنمية قدرتهم على طلاقة الألفاظ[3]، وفي الحقيقة فإنّ المدرّس المرهف الذي « درس الموسيقى، وتعلّم الضرب على العود ووعت ذاكرته حظّا وافرا من التّوشيحات الجزائرية، لا يفوته أن يختار لطلابه كتب الأدب الرفيع، وأصول النقد العربي »[4].

02– خطة التدريس في المسجد:

«وفي 15 أكتوبر 1900م اسندت إليه خطّة التدريس بالجامع الجديد مكان والده المرحوم، فشمّر عن ساعد الجد والاجتهاد وكرّس حياته لخدمة الملة الإسلامية وأخذ

[1]– ينظر: عمار الطالبي: آثار ابن باديس، الشركة الجزائرية لصاحبها الحاج عبد القادر بوداود، باب عزون– الجزائرط03، 1997م، 31/1.

[2]– المرجع نفسه، 29/1.

[3]– نفسه، 30/1.

[4]– نفسه، 30/1.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد: 03 السنة: 2021 الصفحة: 437–475 تاريخ النشر: 20–12–2021

على عاتقه القيام بالمنصبين أحسن قيام فقسّم ساعات العمل اليومية بين المدرسة والمسجد، فجعل منها للمسجد 12 ساعة في الأسبوع وللمدرسة 14 ساعة»[1]

ولقد وقفنا على بعض تفاصيل خطّة التدريس التي كان يعتمدها المدرّس "ابن سماية" من تقرير عن التعليم الذي يقوم به المدرّسون بمساجد مدينة الجزائر سنة 1907م، والذي ورد فيه أنّ "بن سماية" كان يدرّس بمسجد صيد الأسماك[2]. ورد في هذا التقرير الذي رفعه (**وليام مارسيه William Marçais**)، أنّ دروس الشيخ بالمسجد كانت بنفس مستوى دروس المدرسة، فلم يكن يُؤثر أحدهما على الآخر، كما نوّه التقرير أيضا بأنّ الشّيخ من المتعاونين البارزين في المدرسة في القسم العالي[3]، « وخلال الفترة الممتدة من أكتوبر سنة 1906 إلى مارس سنة 1907 كان قد درّس قواعد النحو العربي. أما من مارس إلى جويلية من سنة 1907 فقد درّس مادة البلاغة »[4].

ولقد كانت مادّتا النحو والبلاغة محلّ تفتيش الشّيخ، فسجّل المفتّش ملاحظة نوّه فيها بولوع الشّيخ بالأدب العربيّ ونصوصه، كما سجّل التقرير الفئات التي حضرت الدّرس وهم: (عمّال المسجد، وبعض الخواص من أعيان المدينة، وطلبة القسم العالي من المدرسة الثعالبية [5]، كما وصفه بالمدرّس النّاجح وأثنى على فصاحة لسانه وحُرّية فكره

[1]– عبد الرحمن الجيلالي: جوانب من كفاح الشيخ عبد الحليم بن سماية (السياسي والثقافي)، ص205.

[2]– ينظر: عبد الحميد زوزو: نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر (1830–1900)، موفم للنشر/طبع بالمؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية–الجزائر، (د.ط)، 2009، ص232.

[3]– ينظر: أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، 3/95–96. وينظر: عبد الحميد زوزو: نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر (1830–1900)، ص233.

[4]– عبد الحميد زوزو: نصوص ووثائق من تاريخ الجزائر المعاصر (1830–1900)، ص232.

[5]– ينظر: أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، 3/95–96. وينظر: عبد الحميد زوزو: نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر(1830–1900)، ص 232.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 03 السنة: 2021 الصفحة: 437–475 تاريخ النشر: 20–12–2021

وسلامة لغته[1]، أما فيما يخصّ الجدول الزمني، فقد كان الشيخ يدرّس من السّاعة العاشرة والربع إلى الساعة الحادية عشر والرّبع، خمس مرات في الأسبوع[2] .

وهناك تقرير آخر رُفع سنة 1912م نصّ على أنّ "ابن سماية" أستاذ بالمدرسة وفي الوقت نفسه مدرّس بمسجد صيد الأسماك، كما نصّ على حالة الشيخ المدنية فذكر بأنه متزوّج منذ 1887م له سبعة من الأولاد، وبأنه جدّ مثقّف وذو نفوذ بالجزائر[3].

وهذا التقرير تمّ رفعه من طرف المفتّش (**ديستان d'Estaing**) حيث وصفه فيه "بالمثقّف المتمكّن في مدينة الجزائر"[4]. وكان الشيخ يلقي دروسه بمسجد صيد الأسماك كل يوم ما عدا يومي الجمعة والأحد[5]. يلقي الشيخ، بحسَب هذا التقرير، درسين اثنين في المسجد؛ درس عامّ يتناول فيه التفسير وشرح الأحاديث، أمّا في الدرس الخاصّ فقد اختار لتلامذته، في مادّة النصوص الأدبية، نصوصا من كتاب (المستطرف) وكتب الفوائد، وكان يحضر له في درسه الخاصّ تلاميذ السنة الأولى للمدرسة (الثعالبية) وتلاميذ

[1]– ينظر: أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، 3/95–96.

[2]–ينظر: عبد الحميد زوزو: نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر (1830–1900)، ص232.

[3]– ينظر: المصدر نفسه، ص234.

[4]– يشير المؤرّخ (سعد الله) أنّ هذا التقرير جاء إثر قرار التجنيد الإجباري (1912). وربما تكون إشارة منه إلى مداهنة المفتّش (ديستان) للشيخ بن سماية حتى يداريهم في قرارهم ولا يثور عليه، ولكنّ الشيخ قد خيّب مساعيهم وبرهن على أنّ قضايا الدين والوطن لا مجال فيها للمساومة. ينظر موقف ابن سماية من قانون التجنيد الإجباري في: أبي القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية (1900–1930)، دار الغرب الإسلامي، بيروت–لبنان، ط04، 1992، 2/149–150.

[5]– ينظر: عبد الحميد زوزو: نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر (1830–1900)، ص234.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد: 03 السنة: 2021 الصفحة: 437–475 تاريخ النشر: 20–12–2021

لا ينتسبون إلى المدرسة لكنّهم مرشّحون لدخولها[1]. والحاضرون للدرس العام هم من سكان مدينة الجزائر والبعض الآخر من القسم العالي التابع لمدرسة الجزائر[2]، ومما يثير الانتباه أن عدد الطلبة كان ضئيلا جدّا، إذ كان يحضر درسه حوالي إثنا عشر طالبا في الدّرس الخاص، وحوالي عشرون طالبا في الدرس العام[3]، كما كشف سجل المناداة عن انتظام الحاضرين للدروس الخاصة والعامة وذلك حتى شهر أفريل سنة 1912م[4]، هذا لأنّ حركة التعليم بالمساجد كانت ضعيفة جدا، فلم يكن في العاصمة سوى أربع مساجد تستقبل الطلبة للدرس[5]، ويبدو أن هذا العدد كان على مدار السنة لأن تقارير التفتيش كانت ترفع كل سنة، أما عدد الحصص الأسبوعية في كلا التقريرين فكان خمس

[1]– ينظر: أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، 96/3. وينظر: عبد الحميد زوزو: نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر (1830–1900)، ص234–235.

[2]– ينظر: عبد الحميد زوزو: نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر (1830–1900)، ص234.

[3]– ينظر: أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، 96/3. إلا أن هناك وثيقة جاء فيها أنّ عدد الطلبة في الدروس العامة يتراوح بين 10 و36، أما طلبة الدروس الخاصّة فكان عددهم خمسة عشر. ينظر: عبد الحميد زوزو: نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر (1830–1900)، ص234.

[4]– ينظر: عبد الحميد زوزو: نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر (1830–1900)، ص234.

[5]– يبدو أنّ المساجد التي كانت تستقبل الطلبة للدرس هي (الجامع الأعظم/الجامع الكبير– المسجد الجديد – جامع سفير – جامع ابن رقيسة)، أما المساجد الأخرى المتواجدة بالعاصمة هي (جامع كتشاوى – جامع سيدي محمد الشريف الزهار– مسجد عبد الرحمن الثعالبي– مسجد سيدي رمضان، جامع القصبة البرّاني– مسجد داخل القصبة– جامع سيدي بوقدّور– جامع سيدي عبد الله– جامع سيدي بن علي. وتقريبا كل هذه المساجد كان أئمّتها من السادة الحنفيّة. ينظر: نور الدين عبد القادر: صفحات من تاريخ مدينة الجزائر(من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي)، دار الحضارة، بئر توتة– الجزائر، (د.ط)، 2006، ص155– 169.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد: 03 السنة: 2021 الصفحة: 437–475 تاريخ النشر: 20–12–2021

لقاءات[1]؛ الدروس العامّة تكون من الساعة العاشرة إلى الحادية عشر، أما الدروس الخاصّة يلقيها الشيخ يومي الثلاثاء والأربعاء من الساعة الرابعة إلى الخامسة[2]، كما كانت المدرسة تعمل بنظام الإجازات السنوية؛ فقد نصّ التقرير على أن الشيخ "ابن سماية" كان في إجازة منذ 15 أفريل 1912[3].

2– 2 المقررات الدراسيّة في المسجد:

كان الشيخ (عبد الرحمن الجيلالي) ممن تلمذوا لـــ "ابن سماية" ومتحوا من معين علمه في المسجد، وهذه الفقرة يكشف لنا فيها عن تلك المقررات الدراسيّة من مصادر ومخطوطات أصيلة رشف منها طلابه عبق علمه وحسن شرحه وفهمه؛ يقول: «وكان فيما أخذناه عنه وتلقيناه منه من الكتب التي أقرأها في تدريسه بالمسجد خلال سنوات 1343 –44–45هـــ: ورقات إمام الحرمين في الأصول، وشطرا من تنقيح القرافي، ورسالة العضد في علم الوضع، وشرح السجاعي على المقولات العشر، والجوهر المكنون في البلاغة للأخضري بشرح مؤلفه المخطوط، ونظم الخزرجية في العروض، وقطر الندى في النحو، وتفسير سورة البقرة بالجواهر الحسان للثعالبي، وهذا من غير ما كان يلقيه من دروس عامة للعامة في سائر الأمكنة العامة والخاصة وفي المحافل والنوادي وحيثما حل وارتحل وفي أي بلد وجد سفرا وحضرا »[4].

[1]– ينظر: أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، 96/3.

[2]– ينظر: عبد الحميد زوزو: نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر (1830–1900)، ص234.

[3]– المصدر نفسه، ص235.

[4]– عبد الرحمن الجيلالي: جوانب من كفاح الشيخ عبد الحليم بن سماية (السياسي والثقافي)، ص206.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 03 السنة: 2021 الصفحة: 437–475 تاريخ النشر: 20–12–2021

وقد كان "ابن سماية" إماما بالجامع الكبير[1]، حيث حضر درسه هناك الشيخ "محمد الخضر حسين" لما زار الجزائر سنة 1904، والتقى بالعديد من علمائها، يقول الشيخ "محمد الخضر حسين": «وبعد صلاة الظهر تنقّلنا إلى الجامع الكبير، فالتقينا عبد الحليم بن سماية فغمرنا بنفحات خُلُقه الناضر واختلب ألبابنا بفصاحة لسانه السّاحر، و لم نلبث معه عند هذه الملاقاة إلا مدّة قصيرة لأمر عارض حال بيننا وبين استطالة الجلسة»[2]، ومن بين القضايا العلميّة التي حضرها هذا الشيخ في درس "ابن سماية" في الجامع مبحث يتعلّق بصفة كلام المولى عز وجلّ، يقول الشيخ "محمد الخضر حسين": «وبعد ذلك أخذنا في تقرير مبحث صفة الكلام من كتاب الصّغرى للشيخ السنوسي بصوت جهوري فوضّح معناها ثمّ أقام عليه الدليل ثانيا، وتعرّض في أثناء ذلك إلى مسائل لها علاقة بالمبحث، كتنبيهه على أنّ الحدوث الذي وصف به القرآن في بعض كقوله تعالى ﴿وما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث﴾[سورة الأنبياء/02] هو عائد إلى الألفاظ التي نتلوها لا إلى المعنى الذي هو قائم بالذات العليّة»[3]، ولما تولّى "بن سماية" إمامة الجماعة في صلاة العشاء كان يؤمّن جهرا بعد قراءة الفاتحة فتعجّب الضيف لما وقع من

[1]– «هذا الجامع هو أحد المساجد الأثرية الثلاثة التي تنتمي في تاريخها إلى أزهى وأعزّ عصور الإسلام الذهبية الزاهرة فخورة بانتسابها إلى دولة هي من كبريات دول المغرب العربي المسلم وأسعدها... وتلك المساجد الثلاث هي ما بالجزائر وتلمسان وندرومة، أما تلك الدولة فهي دولة المرابطين الفخمة التي نشأت عندنا في القرن الخامس الهجري –الحادي عشر الميلادي– ونشرت أعلامها على معظم هذا الشمال الإفريقي وعلى أرض الأندلس أيضا....» ينظر: عبد الرحمن الجيلالي: تاريخ المدن الثلاث (الجزائر– المديّة– مليانة) في موسمها الألفيّ 360– 1370ه/970– 1971م، شركة دار الأمّة للطباعة والنشر والتوزيع، (د.ب)، ط 01، 2007، ص21، 23.

[2]– محمد الخضر حسين وآخرون: خمس رحلات إلى الجزائر، ص35.

[3]– المصدر نفسه، ص35.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد: 03 السنة: 2021 الصفحة: 437–475 تاريخ النشر: 20–12–2021

الإمام في مخالفته الرواية المشهورة في عدم تأمين الإمام في الجهر، ولما استقصى الأمر أبلغوه بأن "ابن سماية" يختار رواية المدنيين لترجّحها بالحديث الصحيح،[1] وهذا يدلّ على أن مذهب الشيخ في الرواية هو صحّة الحديث لا ما اشتهر من روايته.

ثالثا: منهجيّة الشيخ عبد الحليم بن سماية في التدريس:

1– نقد الأفكار والتطبيق لتقريب الفهم:

من أكبر الأخطاء وأفدحها أن تُغفِل المناهج التربويّة اهتمامها بالتلميذ فلا تنظر إليه «إلا من حيث اعتبارُه أداة لحفظ المعلومات يتولى المتخصّصون إعدادها أو تأليفها، ويقوم المعلّمون بتنفيذها أو تدريسها، ويعمل التلاميذ والطلاب على تعلّمها أو حفظها، وهذا يتنافى وحاجات التلميذ وطبيعة العملية التعليمية، وهكذا كان التلميذ في معظم الحالات يقوم بالحفظ دون الرغبة مما يجعله يعاني من صعوبة الاستيعاب والفهم»[2]، وهذا مفهوم ضيّق للتدريس مما حمل بعض الأكاديميين على اعتقاد خاطئ وهو «أن عمليّة التدريس بمثابة العملية التي من خلالها يتم نقل المعلومات من ذهن المعلّم إلى عقول التلاميذ الفارغة ليستوعبوها ويحصّلوها، وهذا الاعتقاد الخاطئ يجعل المعلّم المصدر الأساسي والرئيسي للمعرفة، ويجعل المتعلم مستقبلا سلبيا لها»[3].

وقد فنّد "ابن سماية" هذا الموقف البيداغوجي، إذ وجده عقيما فاشلا. وتلافيا للوقوع في مثل هذا الخطأ التربوي، لم يكن التدريس في نظره مجرّد نقل للمعلومات

[1]– محمد الخضر حسين وآخرون: خمس رحلات إلى الجزائر، ص35.

[2]– برو محمد ورحموني دليلة: المناهج التعليمية بين التطورات وتحديات المستقبل، ص155.

[3]– عبد الحميد حسن عبد الحميد شاهين: استراتيجيات التدريس المتقدّمة واستراتيجيات التعلّم وأنماط التعلم، منشورات كلية التربية بدمنهور– جامعة الإسكندرية، جمهورية مصر العربية، (د.ط)، (د.ت)، ص 05.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد: 03 السنة: 2021 الصفحة: 437–475 تاريخ النشر: 20–12–2021

وحشو أذهان الطلبة بالمزيد منها، إذ فيما يؤمن به « ليس المدرّس حقيقة من لقي المسائل على حساب ما تحويه الأوراق جيّدها على رديئها من غير أن يعرضها على محكّ النّقد ويزنها بمعيار النّظر، فإنّ من المسائل ما لم تحط التآليف بتحقيقاتها، واستخراج خباياها»[1]، وهذا ما يؤكّد على أنّ "ابن سماية" كان يمارس التدريس وليس التلقين «إذ لا يعالج الأخير الموضوعات كموضوعات مفتوحة، يسعى المدرّس فيها إلى تنمية قدرة المتعلمين على مناقشتها، بل يهدف في نهاية الأمر إلى أن يحصل على موافقتهم على رأيه»[2].

ومن رؤاه النقديّة عدم اكتفائه بالمفهوم النظري لفنّ البيان بوصفه فنا لاستخدام الكلام وبأنه من المحسّنات اللغوية–كما يراه البيانيون– فهذا الكلام لا يُجدي في نظره إذا لم يكْشِف النّاقد كيف تنعكس الصور البيانية على جماليات المعنى[3]، وبهذا فالشيخ ليس ممن يحفلون بالتصوّرات المجرّدة والمقولات النظريّة بل مسعاه الأهمّ هو تجسيد المفاهيم في قوالب تطبيقية نفعيّة.

ومما أُثِرَ عليه من ملامح النّهج التطبيقي أنه لما كان يتوجّس نَقص فهم من تلامذة الموسيقى يُحضِرُ لهم الآلات فيجسّد لهم ما تلقّوه من مفاهيم نظريّة [4]، إذ معروف عن الشّيخ أنه كان له «تخصّص في الشعر بنظم الموشّحات على أسلوب ما نظمه أدباء

[1]– محمد الخضر حسين وآخرون: خمس رحلات إلى الجزائر، ص36.

[2]– عبد الرحمن كامل: أساليب تدريس اللغة العربية لطلاب الدراسات العليا، (د.ن)، (د.ب)، (د.ط)، 2005، ص91.

[3]– محمد الخضر حسين وآخرون: خمس رحلات إلى الجزائر، ص36.

[4]– ينظر: محمد علي دبوز: نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المجيدة، ص– ص 118–120. نقلا عن: عبد الحق بن حمودة: المنهج الإصلاحي في فكر الشيخ عبد الحليم بن سماية، ص 108.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد: 03 السنة: 2021 الصفحة: 437–475 تاريخ النشر: 20–12–2021

الجزائر وعلماؤها من موشّحاتهم المولدية الشهيرة الموزونة على مقتضى الأنغام والألحان والطبوع الموسيقية الأندلسيّة»[1]، ولقد عمّم "ابن سماية" هذا النهج ليشمل باقي دروس الشريعة والعربية، إذ «كان رحمه الله لا يُرى مرتاحا فيما يلقيه على تلامذته من الدروس إلا إذا شعر من نفس التلميذ باطمئنان إلى ما تلقاه ووعي وحفظ لما زاوله من المسائل المطروحة في الدرس»[2].

02– مراتب المتعلمين واحتياجات كل مرتبة:

كما كان الشيخ يرى للطلبة، رفقة نخبة من العلماء، مراتب تعليميّة ثلاث؛ أكّدوا إثرها بخِبراتهم التدريسيّة «أنّ الرتبة الابتدائية والرتبة الوسطى ينبغي للمعلّم الاقتصار فيها على تقرير المسائل مجرّدة عن ذكر الخلافات والأدلّة الطويلة الذيل، حتّى إذا اقتصر المتعلّم على إحدى الرتبتين أو عاقته دون الترقّي لما بعدها عوائق، فقد نال مافيه كفاية...»[3]، فما فائدة أن يُقحَمَ التلميذُ في نقاشات وجدالات وردود طويلة ربّما لا يتمكّن حتّى من متابعتها دون وقوعه في لبس وتيهٍ، فيَضيع بهذا وقتُه ويوشك على التّخرّج وهو لا يحسن رؤوس المسائل في مقرراته الدّراسيّة، « أمّ الرتبة العليا التي لا يقصدها إلا من طمحت همّته إلى أن يكون عالما معلّما فلا بدّ فيها من تتبّع عروق المسائل واستقصاء آثارها، وحثّ مطيّة الفكر في أنجادها وأغوارها، على شريطة أن لا يلتفت المعلّم إلى المباحث المتعلّقة بعبارات المصنّفين فإنّها داعية إلى خلط الفنون بعضها ببعض من غير كبير فائدة، والاشتغال بتحرير أصل من أصول العلم أفيد للطالب وأجدى، ويستغنى في تقوية الملكة

[1]– عبد الرحمن الجيلالي: جوانب من كفاح الشيخ عبد الحليم بن سماية (السياسي والثقافي)، ص 207.

[2]– المصدر نفسه، ص206.

[3]– محمد الخضر حسين وآخرون: خمس رحلات إلى الجزائر، ص39.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد: 03 السنة: 2021 الصفحة: 437–475 تاريخ النشر: 20–12–2021

وتشحيذ الذهن بالمباحث المتعلّقة بنفس المسائل... »[1]، فرؤية الشيخ هذه تنبئ عن حسّ تربويّ كبير، ووعي بيداغوجيّ خبير، تراعى فيه استعدادات المتعلمين ومستوياتهم، كما يُرَاعى أيضا التناسب بين الأذهان والمعارف؛ فالمبتدئ والمتوسّط يأخذ كلٌّ منهما الأساس ويكتفي، أما المتقدّم فيستقصي المسائل بفروعها ويتعمّق فيها ويزيد، ولذلك كانت « المناهج الجيّدة هي التي تراعي مستويات المعرفة فتبدأ بالمعارف الإدراكية الأولية وتنتقل إلى المستويات المعرفية العليا والمعقّدة »[2].

03– عدم التعصّب للمذهب الفقهي:

ينتهج "بن سماية" مذهب السّادة الحنفيّة، ولذلك نجده «يقتصر في دروس الفقه على كتب الشرنبلالي والقدوري والطحطاوي وابن عابدين والنسفي»[3]. إلا أنّه، في حقيقة الأمر، كان قد درّس في مسجدين اثنين؛ الجامع الأعظم (الجامع الكبير) وقد كان للسادة المالكية، فقبل أن يترل الأتراك إلى الجزائر لم يكن هناك مسجد للحنفيّة[4]، والمسجد الجديد وكان على المذهب الحنفي[5].

[1]– المصدر نفسه، ص39.

[2]– برو محمد ورحموني دليلة: المناهج التعليمية بين التطورات وتحديات المستقبل، ص153.

[3]– عبد الرحمن الجيلالي: جوانب من كفاح الشيخ عبد الحليم بن سماية (السياسي والثقافي)، ص205–206.

[4]– ينظر: نور الدين عبد القادر: صفحات من تاريخ مدينة الجزائر(من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي)، ص155.

[5] – المصدر نفسه، ص 161.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد: 03 السنة: 2021 الصفحة: 437–475 تاريخ النشر: 20–12–2021

وما كان يثير الحيرة ويدعو إلى العجب هو أنه لما كان يستشيره العامّة من الناس لينتخب لهم كتابا في الفقه يقرؤونه كان يشير عليهم برسالة "محمد بن أبي زيد القيرواني" وهي على المذهب المالكي[1]، وهو ما نستنتج منه النقاط الآتية:

- لم يكن الشيخ متعصّبا لمذهبه إذ لم يؤثر عليه مرّة أن دعا تلامذته كي يتحنّفوا ويتخلّوا عن مذاهبهم وطرائقهم في الفقه.
- من المحتمل أن تكون كتُب السادة الحنفية في الفقه عسيرة الفهم على عوام الناس، وذلك لخبرة الشيخ بطريقتها ونهجها.
- من الوارد جدا أن تكون رسالة "أبي زيد" الأكثر يسرا لعوام الناس، ولذلك اختارها الشيخ دون سواها من بين مظان المذاهب الفقهية الأربع.
- لم يكن همّ الشيخ رؤية عوام الناس على مذهبه يسيرون، بل كان يراعي بخبرته التربوية والبيداغوجية مدى تناسب الأذهان مع المستوى العلمي، فيختار الأحسن والأنسب لتلك المرحلة وإن كانت على خلاف مذهبه وطريقته.

04– أسلوب المناظرة ومقارنة الأديان:

لم يكن "بن سماية" مجرّد مدرّس يلقي بضاعته على تلامذته وينصرف، بل كان واحدا من أفراد مجتمعه، فقد امتدّ تأثيره خارج حجرة الدّرس لتدعيم وعضد العملية التعليمية التعلّميّة، كما كان ماهرا يتقن العديد من السلوكات والأساليب التي أورثته مزيد إعجاب وتقدير؛ فقد اشتغل بالفلسفة والمنطق[2]، وكان اشتغاله هذا نابعا من

[1]– عبد الرحمن الجيلالي: جوانب من كفاح الشيخ عبد الحليم بن سماية (السياسي والثقافي)، ص206.

[2]– لقد اهتمّ"بن سماية" بالفلسفة والمنطق حتى تمكّن من مباحثهما وأسرارهما. وقال في هذا الشأن الأستاذ أحمد توفيق المدني الذي سأله أن يحدّثه في المنطق، فأجاب "ابن سماية" قائلا: «خذ ورقة واكتب: وسرعان ما أهذت الورقة والقلم، وأخذ يملي عليّ بلهجة علميّة قاسية وفصاحة عربية نادرة

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد: 03 السنة: 2021 الصفحة: 437–475 تاريخ النشر: 20–12–2021

اعتقاده في برهانيّة المعاني الفلسفيّة[1]، ولهذا فهي، في نظره، مؤهّلة أكثر من غيرها لنصرة الإسلام ودفع الشبهات عنه؛ ولتحقيق هذا المرام كان يجالس مشايخ الإفرنج بالجامعة الجزائريّة فيقع معهم في مساجلات جراء تلك الشبهات التي كانوا يشوّشون بها أذهان تلامذته، فيحاججهم ويعارضهم حتى يبطل ادّعاءاتهم وأكاذيبهم بقوّة البرهان وصحّة الاستدلال[2]، كما كان منهجه فلسفيا يتخذ من المناظرة أسلوبا علميا لما تفيده من يقين، فشروطها وقوانينها المضبوطة والصارمة تضاهي كثيرا ضوابط المنطق وأحكامه[3].

أيضا عرف الشّيخ للغات الأجنبية قيمتها فتعلّم قواعدها، ولّما كان اهتمامه موجّها إلى توظيفها في مجال الدعوة إلى الإسلام اكتسب أيضا قواعد استخدامها مع أهلها في المجتمع، وهذا ما أهّله لتحصّيل ما يصطلح عليه بالكفاءة التواصلية Communicative competence[4] في اللغات الأجنبية؛ فقد ألّم باللغة الفرنسية

وصوت جهوريّ تناسقت نبراته كما تناسقت عباراته، خلاصة وافية لعلم المنطق، بتعريفاته، وكلياته، وأقسامه وأمثاله، وأطال الإملاء وأطلت الكتابة إلى أن ملأت عشر ورقات، وكلّت يدي من الكتابة، وقلت بعد ساعة: يكفي هذا الدرس الأوّل ولنترك الدرس الثاني إلى فرصة أخرى». ينظر: مولود عويمر: ترجمة الشيخ عبد الحليم بن سماية الجزائري، المكتبة الجزائرية الشاملة، 23 سبتمبر 2017، www.shamela-dz.net

[1]– يعتقد طه عبد الرحمن أنّه « إذا كانت المعاني الفلسفية معاني عقلية، وكان العقل النظري طريقه البرهان، فإن المعاني الفلسفية معان برهانيّة». ينظر: طه عبد الرحمن: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء– المغرب، ط03، 2007، ص61.

[2]– عبد الرحمن الجيلالي: جوانب من كفاح الشيخ عبد الحليم بن سماية (السياسي والثقافي)، ص205.

[3]– ينظر: طه عبد الرحمن: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص 69.

[4]– نايف خرما وعلي حجاج: اللغات الأجنبية تعليمها وتعلّمها، عالم المعرفة (سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب–الكويت، عدد 126، شوال 1408هـــ يونيو/حزيران 1988م، ص 186–187.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد: 03 السنة: 2021 الصفحة: 437–475 تاريخ النشر: 20–12–2021

وكانت له معرفة باليهودية مما أهّله كي يخوض في مجال مقارنة الأديان؛ فكان يدفع الشّبهات عن الإسلام، بمجادلته للأحبار والرهبان في كتبهم السماوية من توراه وإنجيل وتلموذ، فكان يقيم عليهم الحجّة بلسانهم ويأتيهم بأدلة من كتبهم[1].

05– تجاوز المقررات الدراسية أثناء التدريس:

كان الشيخ لا يقتصر فقط، في درسه بالمسجد، على تلك المقررات الدراسية، فالتدريس في نظره أفقٌ رحب وعملية ديناميكية معقّدة «تمتدّ إلى مصادر أرحب وأشمل من المادّة الدراسيّة المقرّرة، كما لا تقتصر على قاعات الدراسة، وإنما تشمل كل ما في المدرسة، وكل ما في خارج المدرسة لتتضمّن مصادر التعلّم في البيئة الخارجيّة...»[2]، ولهذا لما أتاه تلامذته بكتاب يضمّ الأحاديث القضاعية[3]، لم يردّها عليهم بحجّة أنها ليست من المقرّر الدراسي، بل استلمها منهم ثم تصفّحها وألقى إليهم أمرا بتحضير أنفسهم في الغد، فكان يملي عليهم نص الحديث كما هو مرتّب في الكتاب بعدها يشرع في شرحه من فيض علمه وحُسن فهمه دون أن يستعين بورقة أو كتاب[4]، وهذا يشير، من جهة أخرى، إلى مُكنة الشيخ وإلمامه بعلوم الحديث النبوي الشريف.

06– الفكاهة والحماس والأمثال العربية:

[1] – عبد الرحمن الجيلالي: جوانب من كفاح الشيخ عبد الحليم بن سماية (السياسي والثقافي)، ص 206.

[2] – عبد الحميد حسن عبد الحميد شاهين: استراتيجيات التدريس المتقدّمة واستراتيجيات التعلّم وأنماط التعلم، ص 06.

[3] – ينظر هذه الأحاديث في: القضاعي (القاضي أبو عبد الله محمد بن سلامة): مسند الشّهاب، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت–لبنان، ط01، 1405هـ/1985م.

[4] – ينظر: عبد الرحمن الجيلالي: جوانب من كفاح الشيخ عبد الحليم بن سماية (السياسي والثقافي)، ص 210.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد: 03 السنة: 2021 الصفحة: 437–475 تاريخ النشر: 20–12–2021

من أجل أن ينجح "بن سماية" في ممارسته البيداغوجية كان عليه أن يُساير مقتضيات عصره التربويّة فيكفي الطلبة في آمالهم ورؤاهم العلميّة والتعليميّة، وهذا ما سعى لتحقيقه فعلا؛ إذ وجدوه متحمّسا مُواضبا على حُضوره في الموعد، كما كان فَكِهًا [1] يستعمل اللهجة العاميّة في بعض النوادر والحكايات ليُسلّي بها المتعلّمين فلم تكن تخرج عن موضوع الدرس بما تفيده من لطائف جمّة، وبهذا لم يكن ملول الاستماع ولا ضجر الجلسة [2]، كما كان يوظّف الأمثال العربية مع تلامذته من نحو: "النار ولا العار، المنايا ولا الدنايا"[3]، حتى يزيد من عزيمتهم وحماسهم تجاه قضايا العلم والدين والوطن.

07– التوجيه والعزل (المربي الحكيم):

يبذل "ابن سماية" الجهد المضني في توجيه تلامذته وتعليمهم، فلما يتعيّن عنده ضعف أنفسهم لنصرة الدين يستيئس منهم ويعزلهم عن درسه[4]، وهذا لا يعني اعتقاد الشيخ في تلك الفرضيّة المشتركة، والتي ترى «أنّ التدريس موجّه فقط لؤلئك "المستعدّون للتعلّم" وأنّ بيئة التعلم سوف تتحسّن إذا تمّ إزالة أولئك الذين يعيقونه أو يشتّتون الانتباه عنه»[5]، فأعتقد أنّه لم يكن ليسلّم بهذا المبدأ على الإطلاق، ولكن ذلك

[1]– ينظر: محمد علي دبوز: نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المجيدة، ص– ص 118–120. نقلا عن: عبد الحق بن حمودة: المنهج الإصلاحي في فكر الشيخ عبد الحليم بن سماية، ص 108.

[2]– ينظر: عبد الرحمن الجيلالي: جوانب من كفاح الشيخ عبد الحليم بن سماية (السياسي والثقافي)، ص206.

[3]– المصدر نفسه، ص202.

[4]– ينظر: محمد علي دبوز: نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المجيدة، ص– ص 118–120. نقلا عن: عبد الحق بن حمودة: المنهج الإصلاحي في فكر الشيخ عبد الحليم بن سماية، ص 108.

[5]– Joan lucariello وآخرون: أفضل 20 مبدأ من علم النفس للتعلّم والتعليم للمراحل من التمهيدي إلى الثانوي(ائتلاف علم النفس في المدارس والتعليم)، ترجمة: عبد الرحمن بن سعد العنقري

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد: 03 السنة: 2021 الصفحة: 437–475 تاريخ النشر: 20–12–2021

العزل كان لديه مبرّراته المنطقيّة والواقعيّة أيضا، ومن تلك المبررات أنّ الدّينَ في نظره لا يحقّ لضعفاء النّفوس أن يحملوه دعوة حقّ، خاصّة وأن فرنسا تُحسن استغلال هذا النوع جيّدا باسم الدين، وكان طموحُه في هذا المنهج الصارم تكوين نخبة من العلماء القويّة شخصيّتهم يتصدّون لحماية الدين والوطن[1] تماما كما كان هو «يلتهب غيرة على دينه ووطنه بمعناه العام الواسع لا الخاص الذي حددته السياسة»[2]. ولهذا فالغاية من العزل تلك ليست مرتبطة رأسا بالجهد البيداغوجي المضاعف الذي كان يبذله مع ضعاف النفوس، وإلا فقد كان مستعدّا دائما للشرح واللإفهام، كما رأينا سابقا، ولكنّها مرتبطة بالبعد النفسي الاجتماعي؛ فمن كان ضعيفا في نفسه وفي شخصيّته أكيد لن يطيقَ صمودا أمام الإدارة الفرنسية، فستحتويه وتصيّره ناطقا بلسانها ومعتقدا في تصرفاتها، وفي الحقيقية حتّى" ابن سماية" «لولا تمسّكه بنصر الله واعتصامه بحبله المتين للعبت السياسة الفرنسية ألاعيبها وأوقعت به في مجاهل الفتنة...»[3].

هذا ولما أحرز "عبد الحليم" هذه الكفاءة العلميّة التعليميّة أصبح محطّ الأنظار، بل وأضحى ذاك الأنموذج المُحتدى به، مما جعله محلّ تقدير في تلك الأواسط الأكاديمية، إذ لم يلبث مدير المدرسة أن أُعجب بطريقة عمله فامتدحه في الدخول المدرسي لعام 1910

وراشد بن حسين العبد الكريم، تحت إشراف: جمعية علم النفس الأمريكية، واشنطن، (د.ط)، 2015، ص 24.

[1]– ينظر: محمد علي دبوز: نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المجيدة، ص– ص 118–120. نقلا عن: عبد الحق بن حمودة: المنهج الإصلاحي في فكر الشيخ عبد الحليم بن سماية، ص 108.

[2]– عبد الرحمن الجيلالي: جوانب من كفاح الشيخ عبد الحليم بن سماية (السياسي والثقافي)، ص 206.

[3]– المصدر نفسه، ص 201.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد: 03 السنة: 2021 الصفحة: 437–475 تاريخ النشر: 20–12–2021

وأقرّ له بالتفاني في العمل كما قال بأنّ نتائجه مشرّفة، وتواصل اجتهاده فاستحقَّ أيضا امتداح المدير المسمّى (سان كالبرو (Sant Kalbro) سنة 1925، لما وصفه صاحب اللسان الفصيح وبأنه موسوعي المعرفة، وبهذا حصّل أوسمة ذات بال خصّصتها السلطات الفرنسية للمعلمين؛ الأوّل هو وسام تقديري سلمته له إدارة المعارف الفرنسية عام 1910 أما الثاني فهو الوسام العالي، ناله عام 1923[1].ويذكر بعض الشهود العيان أن هذه الأوسمة التي كانت تقدّم له من طرف الإدارة الفرنسيّة كان يضعها في دابر حصانه[2]، كما يؤثر عليه أيضا أنّ جزائريا أتاه يريد التوبة من ذنوبه فوجّهه إلى طريقة ناجعة، وهي أن يأخذ السبحة ويلعن فرنسا[3]، وهذا يدلّ دلالة قاطعة على أن"ابن سماية" وإن كان قريبا من الإدارة الفرنسيّة بحكم انتسابه للمؤسسة التربويّة، إلا أنه كان يبغضها ولا يعترف بإجازاتها وأوسمتها على الرغم من استحقاقه لها.

نتائج الدراسة:

سجّلت الدراسة، بعد هذا الوصف الدقيق والشامل لجهود تعليميّة لدى أحد قامات الجزائر السامقة، النقاط الآتية:

– تأكّد في هذه الدراسة أن الجهد التعليمي البيداغوجي الذي بذله "ابن سماية" في المدرسة والمسجد كان يندرج ضمن النشاط الإصلاحي بالجزائر، ومخطئ هو من يعتقد أن بدايته الأولى ارتبطت فقط بجهود جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

[1]– ينظر: محمد علي دبوز: نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المجيدة، ص 121–122. نقلا عن: عبد الحق بن حمودة: المنهج الإصلاحي في فكر الشيخ عبد الحليم بن سماية، ص105.

[2]– ينظر: مجالس الشيخ الأخضر الزاوي:

https: //www.youtube.com/watch?v=irEgKlQTD4o

[3]– ينظر: خذ السبحة والعن فرنسا:

https: //www.youtube.com/watch?v=v2nMvAosFJw

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد: 03 السنة: 2021 الصفحة: 437–475 تاريخ النشر: 20–12–2021

– اهتمّ "ابن سماية"، أثناء ممارسته للعملية البيداغوجيّة، بالبعد النفسي الاجتماعي ومدى تأثيره على شخصيّة المتعلّمين، حيث كان يريدهم أقوياء وعلى قدر المسؤولية العلمية والتاريخية التي تنتظرهم.

– لقد استطاع "ابن سماية" الجمع بين التدريس الأصيل، والمتمثّل في المسجد، وبين التدريس المعاصر، والمتمثّل في المدرسة الشرعية الفرنسية.

–كان للتكوين العلمي الذي أحاط به دور كبير في نجاح ممارسته البيداغوجيّة وتنمية موارده/قدراته البشرية كمدرّس بالمدرسة، وكإمام بالمسجد، وكشخصية بارزة مؤثرة في المجتمع.

– انتساب"ابن سماية" إلى المدرسة الشرعية الفرنسيّة كان لمصلحة أبناء الجزائر، ولضمان حقّهم في الاستفادة من نظام تربويّ عصريّ يضاهي الأنظمة التعليميّة في الوطن العربي والإسلامي.

– تطبيقه لمقرّرات دراسيّة جديدة كانت نظرة بيداغوجية سديدة هدفت إلى مواكبة المعايير والمقاييس التربويّة في الوطن العربي والإسلامي بغرض تهيئة الجيل الجزائري وأقلمته مع الواقع الاجتماعي والثقافي الذي يعيشه.

– استند "ابن سماية" إلى منهجيّة مضبوطة أثناء تعاطيه مع الفعل البيداغوجي في المسجد والمدرسة، ويمكننا إبرازها في النقاط الآتية:

– توظيفه للحسّ النقدي، وإبداء الرأي مع القضايا التي تحتاج إلى تدقيق وتمحيص.

– جنوحه إلى الجانب العملي التطبيقي وعدم اكتفائه بالرؤى التّنظيريّة ذات الطابع التجريدي.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد: 03 السنة: 2021 الصفحة: 437–475 تاريخ النشر: 20–12–2021

– التحصيل العلمي عنده مراتب ثلاث، يتوجّب فيه الوعي بالخصوصيات النوعيّة لكل مرتبة حتّى يضمن المدرّس نجاعة مقرّره الدراسي.

– مكّنته رؤيته الهادفة مع تقديره الحصيف من تجاوز الخلافات المذهبيّة بين المالكية والحنفيّة؛ إذ كان ينصح للمبتدئين بقراءة رسالة "محمد بن أبي زيد القيرواني" المالكي على الرغم من أنه حنفي المذهب، وهذا سلوك بيداغوجي يهدف فقط لإنجاح العملية التعليمية دون الالتفات إلى الخلفيات المذهبية الضيّقة.

– الاستناد إلى دعامات ومهارات من شأنها الرفع من مستوى الآداء التعليمي وحتّى الدّعَوي؛ منها الفكاهة والأمثال الشعبية التي كان يحفِزُ بها همم المتعلّمين، والتي تعدّ من عوامل تنمية الجو الاجتماعي المسلّي في الصّف. كذلك تحكّمه في أسلوب المناظرة ومقارنة الأديان، واللغات الأجنبيّة بغرض محاججة الآخر وإقامة الحجّة عليه بلسانه.

–لم يتقيّد فقط بما هو مقرّر دراسي داخلي، بل كانت رؤيته التعليمية التعلّميّة أوسع وأشمل بكثير؛ فمثلا لم يكن يجد إشكالا في تعليم مواد مرغوب فيها من طرف متعلّميه ليست مقّررة عليهم في الأصل.

– للبعدين النفسي والاجتماعي عنده قيمة تضاهي، وربّما تفوق قيمة التكوين العلمي في حدّ ذاته، ولعلّ هذا ما كان وراء فصل المتعلّمين من ذوي النفوس الضعيفة وغير المتّسقين اجتماعيا، لكن هذا كان يصدر بعد محاولاته المتكررة لكسبهم، كما أنّ سلوك العزل والفصل هذا لم يكن الغرض منه حفظ النظام داخل الفصل الدراسي، وإنّما خوفا من أن يُستغلّ هؤلاء الضعاف في مناصب حساسة لصالح الإدارة الفرنسيّة.

قائمة المصادر والمراجع:

أ– العربية

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 03 السنة: 2021 الصفحة: 437–475 تاريخ النشر: 20–12–2021

– أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، ط01، 1998م.

– أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية(1900–1930)، دار الغرب الإسلامي، بيروت–لبنان، ط04، 1992م.

– أحمد بن محمد التجاني، دمعة على فقيد الجزائر المسلمة، مجلة التلميذ، ع3–4، السنة الثانية، جانفي–فيفري 1933م.

– أحمد توفيق المدني: كتاب الجزائر، المطبعة العربية، (د.ب)، (د.ط)، (د.ت).

– ذياب بن سعد آل حمدان الغامدي: الوجازة في الأثبات والإجازة، دار قرطبة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت–لبنان، ط01، 1428هـــ.

– طه عبد الرحمن: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء– المغرب، ط03، 2007م.

– عبد الحميد حسن عبد الحميد شاهين: استراتيجيات التدريس المتقدّمة واستراتيجيات التعلّم وأنماط التعلم، منشورات كلية التربية بدمنهور– جامعة الإسكندرية، جمهورية مصر العربية، (د.ط)، (د.ت.

– عبد الحميد زوزو: نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر (1830–1900)، موفم للنشر/طبع بالمؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية– الجزائر، (د.ط)، 2009م.

– عبد الرحمن الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982، 4م.

– عبد الرحمن الجيلالي: تاريخ المدن الثلاث (الجزائر– المديّة– مليانة) في موسمها الألفيّ 360– 1370هـــ/970– 1971م، شركة دار الأمّة للطباعة والنشر والتوزيع، ط 01، (د.ب) 2007م.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد: 03 السنة: 2021 الصفحة: 437–475 تاريخ النشر: 20–12–2021

– عبد الرحمن الجيلالي: جوانب من كفاح الشيخ عبد الحليم بن سماية (السياسي والثقافي)، ضمن مجلة الأصالة: مجلّة ثقافية تصدرها وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، السنة الثالثة، العدد 13، صفر/ ربيع الأول 1393هـــ/مارس/أفريل 1973م.

– عبد الرحمن كامل: أساليب تدريس اللغة العربية لطلاب الدراسات العليا، (د.ن)، (د.ب)، (د.ط)، 2005م.

– عبد الكريم بو الصفصاف: الفكر العربي الحديث والمعاصر(محمد عبده وعبد الحميد بن باديس نموذجا)، دار الهدى للطباعة والنشر، الجزائر، 2005م.

– عمار الطالبي: آثار ابن باديس، الشركة الجزائرية لصاحبها الحاج عبد القادر بوداود، باب عزون–الجزائرط03، 1997م.

– غانم بيبي ورنا إسماعيل: الدعم النفسي الاجتماعي والتعلم في ظروف الأزمات، مكتب اليونسكو الإقليمي للتربية في الدول العربية، بيروت 2018.

– القضاعي (القاضي أبو عبد الله محمد بن سلامة): مسند الشّهاب، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت–لبنان، ط01، 1405هـــ/1985م.

– كمال خليل: المدارس الشرعية الثلاث في الجزائر: التأسيس والتطور(1850–1951)، رسالة ماجيستير، جامعة منتوري قسنطينة، قسم التاريخ، السنة الجامعية 2007–2008م.

– محمد بن صالح ناصر: الصحف العربية الجزائرية من 1847إلى 1954، ألفا ديزاين– قصر المعارض–الجزائر، ط01، 1980م.

– محمد بن ناصر العجمي: عبد القادر بن بدران الدمشقي(حياته وآثاره)، دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت–لبنان، (د.ط)، 1417هـــ/1996م.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد: 03 السنة: 2021 الصفحة: 437–475 تاريخ النشر: 20–12–2021

– محمد الخضر حسين وآخرون: خمس رحلات إلى الجزائر (1904–1932)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر(د.ب)، (د.ط)، (د.ت).

– محمد علي دبوز: نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المجيدة، الطباعة الشعبية للجيش، 2007م.

– مراد بن حمودة: المنهج الإصلاحي في فكر الشيخ عبد الحليم بن سماية، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية، مج03، ع06–ديسمبر، جامعة سيدي بلعباس–الجزائر، 2017م.

– مصطفى محمّد حميداتو: كتاب الأمّة(عبد الحميد بن باديس وجهوده التربويّة)، سلسلة دوريّة تصدر كل شهرين عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلاميّة– قطر، العدد 57، المحرّم، ط01، 1418هـــ/1997م.

– نايف خرما وعلي حجاج: اللغات الأجنبية تعليمها وتعلّمها، عالم المعرفة(سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب–الكويت، عدد 126، شوال 1408هـــ يونيو/حزيران 1988م.

– نور الدين عبد القادر: صفحات من تاريخ مدينة الجزائر(من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي)، دار الحضارة، بئر توتة–الجزائر، (د.ط)، 2006.

ب– المترجمة:

–Joan lucariello وآخرون: أفضل 20 مبدأ من علم النفس للتعلّم والتعليم للمراحل من التمهيدي إلى الثانوي (ائتلاف علم النفس في المدارس والتعليم)، ترجمة: عبد الرحمن بن سعد العنقري وراشد بن حسين العبد الكريم، تحت إشراف: جمعية علم النفس الأمريكية، واشنطن، (د.ط)، 2015م.

ج– المواقع الإلكترونية:

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 35 العدد: 03 السنة: 2021 الصفحة: 437–475 تاريخ النشر: 20–12–2021

– برو محمد ورحموني دليلة: المناهج التعليمية بين التطورات وتحديات المستقبل:
http: //revue.ummto.dz/index.php/pla/article/download/1132/951
– خذ السبحة والعن فرنسا:
https: //www.youtube.com/watch?v=v2nMvAosFJw؟
– خولة الشوملي: معلومات عن مدينة إزمير التركية – آخر تحديث07: 41، 28 ديسمبر 2017م https: //mawdoo3.com
– مجالس الشيخ الأخضر الزاوي:
https: //www.youtube.com/watch?v=irEgKlQTD4o
– مولود عويمر: ترجمة الشيخ عبد الحليم بن سماية الجزائري، المكتبة الجزائرية الشاملة، 23 سبتمبر 2017، www.shamela-dz.net.